|  |
| --- |
| **سيناريوهات البيئة الأمنية العربية**  **في مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية".** |

**مداخلة مُقدَّمة للمشاركة ضمن فعاليات الملتقى الدولي: "صناعة المستقبل في السياسات العربية، نحو تفعيل دور الدراسات المستقبلية"، المنظَّم من قبل قسم العلوم السياسية بجامعة قالمة- الجزائر، يومي 08 و09 ديسمبر 2018 بمُجمَّع هيليوبوليس.**

عمّارة عمروس، باحثة دكتوراه في الدراسات الإستراتيجية

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

[docoratenssp@gmail.com](mailto:docoratenssp@gmail.com)

0542579384

|  |
| --- |
| **الملخص:**  نحاول من خلال هذه المداخلة إسقاط تقنية السيناريو على البيئة الأمنية للمنطقة العربية التي تشهد تحولات إستراتيجية يَصحُّ وصفُها بالعميقة منذ بداية أحداث الحراك العربي، خاصة وأنّ ظواهر الإرهاب والتطرف في المنطقة قد بلغت أقصى مظاهر الوحشية والتمدُّد. ويأتي اختيارُنا لمرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية" بالنظر إلى نتائج الحرب على هذا التنظيم الإرهابي في معاقله المحورية في كل من سوريا والعراق، وفُقدانه لمساحات شاسعة كان يُسيطر عليها قبل سنوات قليلة، بالتالي فإن رُؤى ذوي الاختصاص في الشؤون الأمنية والإستراتيجية باتت متفاوتة بخصوص مدى إمكانية تحسُّن الأوضاع الأمنية بالمنطقة العربية في مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية".  **الكلمات المفتاحية: تقنية السيناريو، المنطقة العربية، الحرب على "تنظيم الدولة الإسلامية"، مستقبل الأمن.** |

|  |
| --- |
| **Abstract :**    We are trying through this intervention to drop the scenario technique on the Arab security environment, which undergoes strategic changes that can be described in depth since the beginning of the Arab movement, especially since the phenomena of terrorism and extremism in the region have reached the maximum manifestations of brutality and expansion. Our choice of post-“IS” organisation stage comes as a result of the war on this terrorist organization in its central strongholds in Syria and Iraq, and the loss of vast areas that it controlled a few years ago. Therefore, the views of specialists in security and strategic matters are different in regarding the Arab Security situation in post- “IS” stage.  **Key- words : Scenario technique, Arab Region, War on "IS" organisation, Future of Security.** |

**مقدمة:**

تكتسي الدراسات المستقبلية أهمية بالغة، فهي تسمح بتقليص العيوب واستدراك الأخطاء وحجم النقائص في السياسات الوطنية والدولية، بالتالي تَجنُّب ما يمكن أن يقع من أضرار وتهديدات متنوعة، كما تسمح بالتفكير في سُبُل تحسين حياة الفرد والمجتمع على كافة الأصعدة وعلى اختلاف الفترات الزمنية. فهي تنطلق من دراسة الواقع أو الزمن الحاضر، والأبعاد التاريخية، أي الماضي، من أجل تقديم رؤى تحليلية دقيقة وتصوُّرات واقتراحات لصناعة مستقبل أفضل. وتُعدُّ تقنية السيناريو من بين أشهر التقنيات التي تعتمدُها الدراسات المستقبلية، بحيث تتطلب دراية واسعة بموضوع الدراسة وتقوم على دراسة جيدة لعناصر الظاهرة وتفاعُلاتها وتطوراتها قبل بناء السيناريوهات، وهي عملية تنطلق من أُسس منهجية واعتبارات موضوعية لتقديم تصوُّرات دقيقة ومُؤَسَّسة حول مستقبل الظاهرة المدروسة.

وتتمحور هذه المداخلة حول مستقبل الأمن العربي في مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية"، إذ نتطرق من خلالها إلى أبرز خصوصيات البيئة الأمنية العربية في ظل تداعيات الخطر الأمني، وبالتالي استخلاص المؤشرات التي يمكن أن تساعد في استشراف مستقبل المنطقة على الصعيد الأمني، ثم سنُقدّم ونَعمل على تطوير ثلاثة نماذج من السيناريوهات المختلفة التي لا يتعدى مَداها الزمني 5- 10 سنوات، وهي كالآتي: سيناريو خطي، سيناريو إصلاحي، وأخيرا سيناريو تشاؤُمي.

تُعد فترة الحراك العربي عنصرا بارزا في فهم التحولات الإستراتيجية بالمنطقة خلال العقد الأخير. لقد عبّرت موجة الحراك عن حالة من الكبت النفسي والشرخ بين المواطنين وحُكّامهم، والشرخ بين فئات عديدة داخل المجتمع إمّا باسم الهوية أو لدوافع سياسية وانتماءات معينة، ولم يَنتج ما كانت تتمناه الشعوب العربية من تحسُّن في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بقدر ما نتج عنها –أي عن موجة الحراك- فوضى أمنية وصراعات هجينة، فكانت تداعياتُها ملائمة لانتشار التهديدات الأمنية غير التقليدية وبروز تنظيمات متطرفة وإرهابية عرفت كيف تستثمر في البيئة الأمنية الممزقة. ولقد شكّل "تنظيم الدولة الإسلامية" طفرة نوعية في تاريخ التنظيمات المتطرفة والإرهابية في المنطقة، مستفيدا من حجم التطور التقني والمعلوماتي، ومن التحولات الإستراتيجية في المنطقة العربية منذ نهاية 2010، تاريخ بداية الحراك العربي انطلاقا من تونس. وقد تمكّن التنظيم من التمدُّد في المشرق والمغرب العربيّين، مُستثمرا في حالات الفوضى والصراع وعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي والأمني، لكنّ شنَّ الحرب عليه في معاقله المحورية في كل من سوريا والعراق بدأ يطرح العديد من التساؤُلات حول مستقبله ومستقبل الأمن العربي خلال السنوات القليلة المقبلة.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يتعلق بموضوع راهن وبتهديد أمني جديد ومتجدّد، ألا وهو التطرف والإرهاب، وببيئة ذات خصوصية معينة اجتماعيا وسياسيا وأمنيا، أي البيئة الأمنية العربية خلال العقد الأخير، خاصة مع تمدُّد الخطر الأمني واكتساب التنظيم الإرهابي –متمثلا في "تنظيم الدولة الإسلامية"- تعاطُفا كبيرا من قبل أعداد هائلة من الأفراد عبر العالم، لذلك فإن هذه المداخلة تكتسي أهميتَها من الناحية المنهجية ومن حيث المضمون، بحيث تسعى إلى تكوين نظرة استشرافية مؤسَّسة لمستقبل الأمن العربي في مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية"، من خلال اقتراح منهجية لبناء سيناريوهات المرحلة اعتمادا على طريقة تصميم السيناريو المرنة، أي بالخضوع لعدد من المتغيرات التي قد تتحول أو تتغير تأثيراتُها في أية لحظة.

**إشكالية الدراسة:**

* كيف يمكن بناء تصوُّر شامل لسيناريوهات الأمن العربي في مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية" ؟

**الفرضية المحورية:**

* يرتبط بناء سيناريوهات الأمن العربي في مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية" بتتبُّع تطورات الحرب على التنظيم، من أجل استخلاص المتغيرات المحورية لبناء مصفوفة سيناريوهات المرحلة وتصوّر آثارها الإستراتيجية.

|  |
| --- |
| **عناصر المداخلة:**  **أولا:** الحرب على "تنظيم الدولة الإسلامية" والعوامل المؤثرة في استشراف مستقبل الأمن العربي.  **ثانيا:** بناء مصفوفة سيناريوهات مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية".  **ثالثا:** تصوُّر التطوّرات والآثار الإستراتيجية للسيناريوهات المُقدَّمة. |

**أولا: الحرب على "تنظيم الدولة الإسلامية" والمؤشرات المؤثرة في استشراف مستقبل الأمن العربي.**

بدأت الحرب على "تنظيم الدولة الإسلامية" بعد أن كان قد تمدّد بشكل كبير في المنطقة العربية وخارجها، حائزا على المبايَعات والتعاطف، مستوليا على مناطق إستراتيجية وحيوية عديدة، ومحققا لانتصارات نوعية. ومع الهزيمة العسكرية للتنظيم وفقدانه أكثر من 90 بالمئة من الأراضي التي كان يسيطر عليها في كل من العراق وسوريا، فضلا عن فقدان قدر كبير من قدراته المادية والمعنوية والتنظيمية والقتالية، صارت رؤى الباحثين الإستراتيجيين وخبراء الأمن تتضارب حول المرحلة المقبلة التي تنتظرها المنطقة العربية.

وعموما، يمكن تحديد بعض المؤشرات أو العوامل البارزة في سبيل استشراف مستقبل الأمن العربي خلال العقد المقبل، وهي كما يلي:

* تحولات الظاهرة الإرهابية في المنطقة العربية:

لا يختلف اثنان من المختصين في الشؤون الأمنية والإستراتيجية على أنّ الظاهرة الإرهابية قد شهدت كثيرا من التحولات والتطورات عبر الأزمنة والمراحل المختلفة، تحت تأثيرات اختلفت ومستجدات تنوعت، حتى بتنا –عند الحديث عن تصنيفات الإرهاب- نُميّز الإرهاب المعاصر عن الإرهاب في الماضي، وهكذا. وترتبط تحولات الظاهرة الإرهابية في المنطقة العربية بعدد من العوامل والظروف، أبرزُها أن انتشار العولمة ساعد في هذه التحولات بشكل كبير جدا من حيث انتشار التهديدات الأمنية اللّاتناظرية وفي مقدمتها الإرهاب، بحيث لم تعُد الحدود الجغرافية بين الدول حصنا منيعا ضد عبور مختلف أشكال التهديدات، كما استفادت التنظيمات المتطرفة والإرهابية من التطور التكنولوجي في وسائل الإعلام والاتصال فتمكّنت من الوصول إلى جمهور واسع ونشر فكرها المتطرف على نطاق أوسع. ويُعدّ تنظيم "داعش" ظاهرة من نوع خاص، سواء من حيث الفترة الزمنية والظرف الذي برز خلاله، أو من حيث التحولات الإستراتيجية والتكتيكية التي رافقت الظاهرة الإرهابية خلال العقد الأخير، أو على صعيد التمدُّد والانتشار الجغرافي ودرجة الوحشية التي اقترنت بالتنظيم.

* "تنظيم الدولة الإسلامية" بين التمدُّد واستفحال التهديد الأمني والتدخلات الأجنبية في المنطقة:

إن الظاهرة الإرهابية قد شهدت الكثير من التحولات والتطورات في جوهرها، أساليبها وتداعياتها، وقد شكل "تنظيم الدولة الإسلامية" بالفعل ظاهرة خاصة ومعقدة، فضلا عن أنها محاطة بالكثير من علامات الاستفهام والتعجب حتى يومنا. برز "تنظيم الدولة الإسلامية" في المنطقة العربية خلال فترة زمنية وظرف أمني شديد الحساسية والتعقيد، فقد استفاد من موجة الحراك العربي والفوضى وتحولات الخطاب الجهادي المتطرف، وتمكّن في ظل ذلك من التمدُّد حاملا شعار "باقية وتتمدّد"، وهي العبارة التي حملت رؤية أيديولوجية ودلالات إستراتيجية، ومما زاد من قوة التنظيم في المنطقة أنه استقطب آلاف المقاتلين –ظاهرة "المقاتلين الأجانب" FTF- عبر العالم، من خلال شبكة الإنترنت وسياسته الإعلامية وأسلوبه في التجنيد الإلكتروني، متلاعبا بمتغيرات كثيرة كالعاطفة الدينية، والنزعات الطائفية، وغيرها. وتمكّن "تنظيم الدولة الإسلامية" خلال فترة قصيرة من بروزه من الاستيلاء على ثروات وموارد ومواقع إستراتيجية وحيوية في كل من سوريا والعراق[[1]](#endnote-2)، حيث معاقلُه المركزية، كما افتكّ ولاءات ومُبايعات كثيرة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ورافقه انتشار للسلاح وظواهر وتهديدات أخرى جديدة كاللجوء الإنساني والهجرة غير الشرعية، فلم تعُد تداعياتُه مقتصرة على المنطقة العربية وحدها وإنما باتت تشمل مختلف الفضاءات الجغرافية الأخرى.

وقد استفادت أطراف عديدة، إقليميا ودوليا، من التهديدات الأمنية في المنطقة العربية، فظل معيار المصلحة حاضرا في المواقف وردود الأفعال، خاصة وأن منطقة الشرق الأوسط وتطورات الأوضاع في كل من سوريا وليبيا باتت تعكس حالة من المعضلة الأمنية والفوضى الخلاقة للفُرص والمصالح، حتى المواقف من ظواهر التطرف العنيف والإرهاب في المنطقة العربية تظل مقترنة دوما بخلفيات إما أيديولوجية أو إستراتيجية. وبالرغم من أن قوة وتمدُّد "تنظيم الدولة الإسلامية" في المنطقة مثّلا تهديدا أمنيا كبيرا بالنسبة لعديد الدول والفضاءات الجغرافية، إلا أنّ وجوده حمى مصالح دول أخرى، سياسيا واقتصاديا وإستراتيجيا، ومن بينها تركيا وإسرائيل وإيران وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية، كلٌّ حسب رُؤاه وتوجهاته والمخططات والأهداف المرسومة.

* كسر شوكة "تنظيم الدولة الإسلامية" في سوريا والعراق:

أفرزت الحرب على "تنظيم الدولة الإسلامية" في معاقله المحورية أقسى هزيمة له على المستوى العسكري والتنظيمي، خاصة وأنه سيطر لفترة معينة وبصورة سريعة على مناطق شديدة الأهمية اقتصاديا وإستراتيجيا، بالتالي كانت الحربُ عليه في سوريا والعراق بمثابة الضربة الحاسمة، ولا نعني هنا أن زوال - أو احتمالية زوال- "تنظيم الدولة الإسلامية" بالشكل الذي عرفناهُ به يعني استئصال ظواهر التطرف والإرهاب من جذورها، بل من غير الممكن الحديث عن زوال الظاهرة الإرهابية بهذه البساطة نظرا لعدة اعتبارات يتدخل فيها البُعد التاريخي، اختلاف التركيبة الفكرية والنفسية والاجتماعية للأفراد، بالإضافة إلى خصوصيات البيئة، غير أنّ محاربة "تنظيم الدولة الإسلامية" في معاقله المحورية تُعد مؤشرا أساسيا في رسم سيناريوهات المرحلة المقبلة التي يواجهُها مستقبل الأمن العربي.

وتطرح هذه النقطة عديد الفرضيات والتصورات، فنهايةُ "تنظيم الدولة الإسلامية" في منطقة قد تعني تكاثُرَه بشكل متجدّد في منطقة أخرى أو مناطق متفرقة، ذلك في إطار ما يُعرَف بتسمية "البيئة الحاضنة"، كما أن ظاهرة "الذئاب المنفردة" باتت واسعة الشهرة مؤخرا من أجل "مواجهة مشكل التمويل والنقص في القيادات الميدانية"[[2]](#endnote-3)، فضلا عن أنّ القضاء عليه –أي على هذا التنظيم الإرهابي- لا يعني بالضرورة استئصال الفكر المتطرف في المنطقة العربية، فهذا الفكر حاضر منذ أزمنة بعيدة وإن اختلفت الأُطُر والسياقات وأساليب التعبير والتأثير[[3]](#endnote-4).

* عودة المقاتلين الأجانب:

مع الهزيمة العسكرية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، تراجع تعداد المقاتلين الأجانب في صفوفه منذ 2016، ونحنُ اليوم أمام ظاهرة حتمية وهي عودة هؤلاء الأفراد إلى بلدانهم. إن العائدين من مناطق الصراع العنيف في كل من سوريا والعراق سيظلون محلّ شكوك واتهامات، حتى وإن أظهروا حسن النية من خلال تخليهم عن العمل الإرهابي، وذلك لأنهم يظلون –في نظر حكومات دولهم الأصلية ومجتمعاتهم- حاملين للفكر المتطرف الذي سيُصعب عملية الاندماج داخل المجتمع بطريقة أو بأخرى. بالتالي فإن مسألة مدى إمكانية تأثير عودة المقاتلين الإرهابيين الأجانب على مستوى الاستقرار المجتمعي والحالة الأمنية للدول تشكل هاجسا لا مفر منه، بحيث تتراوح مسألة العودة بين إمكانية الاندماج أو العكس، خاصة وأن الفرد الذي تكون له سوابق إجرامية وتحديدا إرهابية يظل يُعايش حالة من الاغتراب النفسي والاجتماعي فضلا عن المراقبة الأمنية. وقد أثبتت حالات عديدة أن رجوع المقاتلين في صفوف التنظيمات الإرهابية إلى بلدانهم الأصلية كان من بين المحفزات على العمل الإرهابي في ذات البلدان، وهو ما لاحظناه خلال دراستنا لمرحلة الجهاد الأفغاني وما رافقها أو تبعها من إرهاب ووحشية في عديد الدول العربية، كما كان الحال مع الجزائر خلال التسعينيات. فإذا كان ذلك شأن تنظيمات إرهابية سبقت ظهور "تنظيم الدولة الإسلامية"، فكيف يكون الحال مع هذا التنظيم الذي تفنّن في شتى أساليب ومظاهر الوحشية التي لم يسبقه فيها أي تنظيم آخر؟

* الإستراتيجيات العربية في مجال مكافحة التطرف والإرهاب:

إنّ إرهاب الفترة المعاصرة يفرض على الدول نمطا جديدا من السياسات الأمنية، فتحولات الظاهرة الإرهابية وميكانيزمات إنتاج التطرف خلال فترة ما بعد الحرب الباردة تتطلب التكيف معها على صعيد المدرَكات والإجراءات العملية. بالتالي فإن الأسلوب الأمني المحض لم يعُد كافيا للتصدي أو القضاء على هذه الظواهر، لذلك فإن الوقاية باتت ضمن أولويات الدول، انطلاقا من أنّ التطرف والإرهاب يُصنفان في إطار الظواهر الاجتماعية قبل أن تكون أمنية.

وتعمل الدول العربية خلال السنوات الأخيرة على تكييف إستراتيجياتها وفق هذا السياق، وهو ما يظهر من خلال السعي إلى التوفيق بين الإجراءات الوقائية والرادعة والإجراءات الأمنية المعروفة، كما هو الحال مع الجزائر ومصر والسعودية، وغيرها، وتطرح مسألة عودة الأفراد المقاتلين في صفوف "تنظيم الدولة الإسلامية" عديد التساؤلات كما تدعو إلى الحيرة والتدبير، وهو ما يستدعي الوقاية قبل المعالجة الأمنية، فالفرد المتطرف في المجتمع يشكل تهديدا للأمن الفكري والنفسي ولقيم المجتمع بالدرجة الأولى.

**ثانيا: بناء مصفوفة سيناريوهات مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية".**

يُشترط في نجاح تخطيط المستقبل "أن يكون شاملا ويراعي كل المتغيرات المحتمَلة مستقبَلا، ويُنفَّذ على مراحل في فترات زمنية محددة"، كما يجب أن تكون السيناريوهات الموضوعة "مرنة وقابلة للتقويم عند حدوث متغيرات حادّة"[[4]](#endnote-5). وبعد أن تطرقنا إلى بعض الأفكار والعناصر الأساسية لفهم خصوصيات الوضع الأمني والخطر الإرهابي في المنطقة العربية، نتناول في هذا المحور سيناريوهات مرحلة ما بعد "داعش"، بحيث نصنفها إلى ثلاثة: خطي، إصلاحي ثم تشاؤمي، وسنعمل على بناء مصفوفة تُوافق استنتاجاتنا من المحور السابق بعد تحديد بعض الفرضيات الأساسية.

* **السيناريو الخطّي:**

بحيث تظل نفس المتغيرات التي تنطوي عليها البيئة الأمنية العربية في الوقت الراهن على حالها، تحديدا على صعيد المأزق الأمني والمرحلة الانتقالية الجديدة التي تمر بها المنطقة في ظل تداعيات نهاية "تنظيم الدولة الإسلامية"، كما أن خصوصيات البيئة العربية لن تعرف تطورات حادّة على الأقل خلال السنوات القليلة المقبلة. ويُفترَض أن يستمر هذا التوجه لفترة لا تتجاوز 02- 05 سنوات على الأكثر، كما أنه لا يشمل الشق الأمني فحسب بل أيضا الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، باعتبار أنّ جميع الأبعاد تتداخل وتتضافر في تحديد مسار مستقبل الأمن العربي خلال المرحلة المقبلة. والفرضيات الأساسية التي تتناسب وهذا السيناريو تكون كآلاتي:

* يرتبط استمرار الوضع الأمني القائم في المنطقة العربية باستمرار تداعيات التهديد الإرهابي بنفس الوتيرة.
* يقترن الوضع الأمني في المنطقة بالوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي راكمتهُ خصوصيات البيئة العربية خلال العقد الأخير.
* **السيناريو الإصلاحي**:

هو سيناريو متفائل ومرغوب فيه، فحواهُ أن الحرب على "تنظيم الدولة الإسلامية" قد أضعفته وستُؤدي حتما إلى انهياره وانهيار فروعه، بالتالي يسير مستقبل الأمن العربي نحو الأحسن تدريجيا. ويظل هذا السيناريو مُحتمَلا، تَدعمُه سياسات الدول العربية التي يُرادُ لها أن تكون متماشية بالفعل مع تطلُّعات الشعوب ومتطلبات الاستقرار السياسي والمجتمعي، بالإضافة إلى إستراتيجيات مكافحة التطرف والإرهاب التي بدأت الحكومات العربية تقتنع بضرورة تنويعها لتشمل الجوانب الاجتماعية والتربوية والإعلامية والتنموية والسياسية والأمنية بالتأكيد. بالتالي فإن الفرضيات التي يقوم عليها هذا النوع من سيناريوهات مستقبل المنطقة تكون كما يلي:

* يرتبط تحسُّن الأوضاع الأمنية في المنطقة العربية بحجم الهزيمة التي طالت قدرات التنظيم القتالية والمعنوية والتوسُّعية.
* تتوقف عملية مكافحة التطرف والإرهاب على تبني إستراتيجيات وقائية، بالإضافة إلى تكثيف التعاون والتنسيق العربي- الإقليمي في المجالين الأمني والإستراتيجي.
* **السيناريو المتشائم**:

هو محتمل لكنه غير مرغوب، يقوم على اعتبار أنّ القضاء على "تنظيم الدولة الإسلامية" لا يعني القضاء على الظاهرة الإرهابية، خاصة وأنّ للتنظيم مناصريه وأتباعَهُ في مناطق عديدة عبر العالم، بالتالي يُحتمل أن يُعيدَ تشكيل تركيبته في مواقع جغرافية أخرى وبصورة أكثر حذَرا، ممّا يُعمّق الهاجس الأمني لدى شعوب ودول المنطقة العربية. وتمتدّ الفترة الزمنية لهذا السيناريو ما بين 05- 10 سنوات تقريبا، وهي المدّة التي ستعرف بالتأكيد تحولات إستراتيجية جديدة، كما سيستمر التطور التكنولوجي والمعلوماتي لتستغله التنظيمات الإرهابية. وفي إطار ذلك يقول الدكتور "عبد الباري عطوان"[[5]](#endnote-6) بأن العالم العربي على مشارف "حرب سياسية واقتصادية وربما عسكرية في المستقبل المنظور"، في ظل تضارب المصالح والمواقف الدولية، تحديدا ما تعلق بروسيا والولايات المتحدة الأمريكية. كما ذكر تقرير لصحيفة "الإنديبندنت"[[6]](#endnote-7) بأن التهديد الذي يشكله "داعش" لا يزال حاضرا وبصورة خاصة بالنسبة للغرب. ويمكن تحديد الفرضيات الأساسية لهذا الطرح كالآتي:

* إعادةُ تشكيل "تنظيم الدولة الإسلامية" بصور أخرى وفي مناطق جغرافية مختلفة ستأخذ بعض الوقت، بالنظر إلى حجم الهزيمة التي لحقت به، لكن يشجعه بقاء الفكر المتطرف وحجم التعاطف.
* يرتبط المأزق الأمني الذي تواجهه المنطقة العربية خلال المرحلة المقبلة بأعداد الإرهابيين العائدين إلى مجتمعاتهم الأصلية وما سيَنتُج عن ذلك من عدم استقرار مُجتمعي وعُسر اندماج.

**الشكل: مصفوفة السيناريوهات المطروحة.**

**السيناريو الخطي السيناريو الإصلاحي السيناريو المتشائم**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| استمرار الوضع القائم | انفراج الوضع | سوء الأوضاع وتعقّدها |
| استمرار تداعيات مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية" | الاستقرار الأمني في المنطقة العربية نسبيا | استفحال أشكال متجدّدة من التهديدات الأمنية |
| تكثيف التعاون العربي- الإقليمي والسياسات الأمنية الوقائية لمواجهة تداعيات الظاهرة الإرهابية | استغلال حالة الاستقرار الأمني في الدفع بمشاريع التنمية وتعزيز العدالة الانتقالية في الوطن العربي | ضرورة تعزيز الوحدة العربية وتفعيل إستراتيجيات أمنية ووقائية من أجل التصدي الجيد للتهديدات الأمنية المتجدّدة |

حلول مقترَحة

* **من إعداد الباحثة، بالاعتماد على الفرضيات المعروضة حسب كل سيناريو.**

وقد فضلنا هذا النوع من المصفوفات المبسَّطة لأننا حدّدنا في السابق نمط أو طريقة التصميم التي تقوم عليها السيناريوهات المقدَّمة في هذا البحث، وهي الطريقة الحدسية المبنية على المرونة في التفكير والتحليل، بالإضافة إلى أن تقنية السيناريو في حد ذاتها ترفض التعقيد والغموض. بالنسبة للحلول التي تتلاءم وكل سيناريو، يتم التأكيد على ضرورة تعزيز التعاون الأمني والتنسيق الإستراتيجي في جميع الأحوال، بالإضافة إلى تفعيل البُعد الوقائي في الإستراتيجيات العربية لمكافحة التطرف والإرهاب.

**ثالثا: تصوُّر التطوّرات والآثار الإستراتيجية للسيناريوهات المُقدَّمة.**

حاولنا من خلال المحور السابق تقديم عرض مبسَّط للسيناريوهات المقترَحة، كما حدّدنا بعض الفرضيات التي تتماشى ومنحى كل سيناريو انطلاقا من استقرائنا لواقع وخصوصيات ومستجدّات البيئة الأمنية للمنطقة العربية. وسنعمل في هذا المحور على تقديم تصورات للتطورات والآثار الإستراتيجية التي يُحتمَل أن تفرزها مسارات كل سيناريو، فيما يلي أبرزُها:

* بالنسبة للسيناريو الخطي:

بما أن هذا النوع من السيناريوهات يقوم على الامتداد الخطي للوضع القائم فإن المتغيرات في هذه الحال ستظل على وتيرتها ولن تحدث تطورات نوعية ملحوظة، فالمدى القريب أو القصير قد لا يتضمن تباعُدا بين مكونات تشكيل سيناريو المرحلة وقيم المتغيرات. وبما أن العالم لا يزال في حالة ترقُّب لما ستُسفر عنه النهاية الحتمية لفلول "تنظيم الدولة الإسلامية" في الشرق الأوسط، لا تزال التحليلات الأمنية والإستراتيجية متضاربة بخصوص مستقبل الأمن العربي في مرحلة ما بعد "داعش".

* بالنسبة للسيناريو الإصلاحي، نحدّد التطورات والآثار الآتية:
* ميل الأوضاع في سوريا والعراق نحو الانفراج نسبيا، وتبقى مسألة بقاء نظام "الأسد" من عدمه هي العنصر الأساس في استمرار أو انفراج حالة الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط. وتميل بعض التحليلات إلى أنّ زوال الخطر الإرهابي المتصل بتنظيم "الدولة الإسلامية" لا يعني الاستقرار الفعلي في كلا البلدين، بحكم أن معيار الطائفية والصراع السني- الشيعي تحديدا يظل حاضرا في جميع الأحوال.
* تراجُع كمّ الأعمال الإرهابية في المنطقة العربية، وتراجُع حجم التداعيات الخطيرة التي كانت في السابق أي خلال السنوات القليلة الماضية.
* بلوغ نسبة معينة من الاستقرار خلال العقد المقبل، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وأمنيا، بحيث أنّ مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية" وما يُرتقَب من تحسُّن في أمن المنطقة العربية ستساعد على الدفع بمشاريع التنمية والعدالة الاجتماعية.
* التعاون الفعال بين الدول العربية على الصعيدين الأمني والإستراتيجي، بالنظر إلى الاقتناع بأن التهديدات الجديدة والمتجددة مشترَكة مهما اختلف درجاتُها ومصادرُها، بالتالي فإن مرحلة ما بعد زوال "تنظيم الدولة الإسلامية" ستشجّع بشكل كبير تشكيل "ناتو" عربي بالمفهوم الإيجابي للتدخل والتضامن.
* تفعيل إستراتيجيات وقائية لمكافحة التطرف والإرهاب مثل إعادة التأهيل الفكري، والرعاية الاجتماعية والنفسية[[7]](#endnote-8)، بحيث تكون أكثر مُلاءَمةً لخصوصيات البيئة الأمنية العربية وطبيعة التهديد الأمني، وكمثال في هذا الصّدد نقول بأن التطرف والإرهاب في حاجة إلى معالجة الأسباب والظروف المؤدية إليهما قبل أن نتحول إلى مرحلة المعالجة الأمنية.
* بالنسبة للسيناريو التشاؤمي، نقوم بتحديد التطورات الموالية:
* إعادة تشكيل "تنظيم الدولة الإسلامية" في حُلّة جديدة، فإذا ما تمّ الاستناد على التطورات الحاصلة خلال السنتين الأخيرتين نقول بأنّه سيُعيد ترتيب أوراقه وحساباته وجمع شتاته الذي تسبّبت فيه هزائمُه العسكرية، لكنه سيغير معقله الجغرافي بالتأكيد.
* صراعات المصالح الإقليمية والغربية في تصاعُد، خاصة إذا ما تحدثنا عن الرؤية الروسية والأمريكية والإيرانية، وتحديدا منذ مجي "ترامب" وصعود اليمين المتطرف في أوروبا الذي له توجهات ومواقف عنصرية تُجاه المسلمين.
* عودة المقاتلين الأجانب إلى بلدانهم الأصلية ستخلق حالة من الهلع والهاجس الأمني، بحيث أنها ستُهدّد استقرار الدول والمجتمعات، وقد أثبتت حالات عديدة بأن عودة الإرهابيين يَنتُج عنها في المستقبل القريب تداعيات أمنية خطيرة، والحالة الجزائرية خلال التسعينيات خيرُ دليل.
* السباق حول التسلح سيصل إلى مرحلة تتجاوز الطابع الردعي، ربما نتيجة المساس المُفرط بالمصالح الحيوية للأطراف المتصارعة حول مصالحها في الشرق الأوسط وتحديدا في سوريا.
* استمرار الخطر الإرهابي وإلى جانبه تهديدات أمنية ذات صلة به، مثل التهريب والاتجار غير المشروع بالأسلحة، وتفاقُم أعداد الهجرة غير الشرعية واللجوء.

**الخاتمة:**

تظل ظاهرة "تنظيم الدولة الإسلامية" حدثا أمنيا لا سابقة له، وقد شكّلت تهديدا وخطرا كبيرا بالنسبة للمنطقة العربية وللعالم بأسره نتيجة إستراتيجية التنظيم التي تنوعت مضامينُها وأساليبُها، ثم مع تراجُع نفوذه في كل من سوريا والعراق باتت سيناريوهات المرحلة المقبلة تُلحّ بشدّة، لذلك قدّمنا في هذه المداخلة رؤية استشرافية مبنية على الواقع الأمني للبيئة العربية وتتبُّع مُجريات الأحداث بشكل موضوعي.

لقد حدّدنا في الدراسة ثلاثة سيناريوهات أساسية، وهي المتعارَف عليها، على وجه العموم، في حقل الدراسات المستقبلية، فعلى الرغم من خصوصيات البيئة الأمنية العربية التي ترتبط بشكل كبير بحالة من الفوضى الأمنية إلّا أنّ سيناريوهات مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية" تظل تتراوح ما بين التفاؤل والتشاؤم، وكما هو معلوم فإن الدراسات الإستراتيجية والأمنية حقل مرن، يخضع للتغيرات والمستجدات في أية لحظة، لذلك حدّدنا عددا من الفرضيات والتفسيرات المؤسَّسة عند بناء سيناريوهات الأمن العربي خلال فترة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية"، معتمدين على الأسلوب الحدسي والمرن في تصميم السيناريو.

وكتوصية أساسية في ختام هذه المداخلة، نقول بأنّه من واجبنا، كباحثين ومختصين في الشؤون الأمنية والإستراتيجية، إنجاز دراسات معمقة في موضوع كهذا، لأن مستقبل الأمن العربي في مرحلة ما بعد "تنظيم الدولة الإسلامية" يتطلب التخطيط له بشكل جيد وتحديد إستراتيجية تلائم تطورات الراهن واحتمالات الغد على كافة الأصعدة، خاصة مع تطورات الظاهرة الإرهابية وخصوصيات البيئة الأمنية العربية في ظل تكالُب المصالح وصراعات النفوذ.

**الهوامش:**

1. في صيف 2014 على سبيل المثال، سيطر التنظيم على حقلي نفط في جنوب كركوك، وأشارت التقديرات إلى استيلائه على حوالي 17 بالمئة من المناطق النفطية في العراق وحدها، وحسب تقديرات المركز العالمي للدراسات التنموية في بريطانيا، سيطر "تنظيم الدولة الإسلامية" على أكثر من 20 حقلا باحتياطي قدرُه 20 مليار دولار. وتكون الاستفادة من المناطق الإستراتيجية والحيوية في هذه الحالة من حيث استغلال الأرباح المادية في تعزيز القدرة العسكرية للتنظيم.

   راجع: محسن بن عيسى، **الإرهاب من العنف السياسي إلى التهديد الإستراتيجي (رؤى أمنية من واقع التجربة).** ط. 1، تونس: الدار المتوسطية للنشر، 2018، ص. ص. 123 و124. [↑](#endnote-ref-2)
2. **المرجع نفسه**، ص. 138. [↑](#endnote-ref-3)
3. استفاد "تنظيم الدولة الإسلامية" بشكل كبير من التطور الذي بلغته وسائل الإعلام والاتصال والتواصل الرقمية، فساعدت سياستُه الإعلامية وإستراتيجيتُه في الاستقطاب والتجنيد الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت في اشتهاره ونشر فكره على نطاق جماهيري واسع. [↑](#endnote-ref-4)
4. محمد جمال جارحي سعداوي، "بناء السيناريو في ضوء الدراسات المستقبلية". **رسالة ماجستير** في تخصص التصميم الصناعي، مقدمة إلى كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان (مصر)، 2016، ص. ص. 76 و77. [↑](#endnote-ref-5)
5. "تطورات خطيرة سيشهدُها الشرق الأوسط". في الموقع الإلكتروني: <https://arabic.sputniknews.com/radio_event/201810291036399136> ، تاريخ الزيارة: 18 نوفمبر 2018. [↑](#endnote-ref-6)
6. "بريطانيا تحذر: زوال "داعش" في الشرق الأوسط لا يعني نهاية التهديد الإرهابي". في الموقع الإلكتروني: <https://ar.webmanagercenter.com/2018/09/14/239605/> ، تاريخ الزيارة: 18 نوفمبر 2018. [↑](#endnote-ref-7)
7. أبو بكر عبد الوهاب محمد، "إمكانات الأجهزة الأمنية وأثر الإخلال فيها على مكافحة الإرهاب". في: مجموعة باحثين، **قدرات الأجهزة الأمنية وأثرُها في جهود مكافحة الإرهاب**. ط. 1، الرياض: منشورات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2010، ص. ص. 194 و195.

   **قائمة المراجع:**

   الكتب:

   بن عيسى، محسن، **الإرهاب من العنف السياسي إلى التهديد الإستراتيجي (رؤى أمنية من واقع التجربة).** ط. 1، تونس: الدار المتوسطية للنشر، 2018.

   عبد الوهاب محمد، أبو بكر، "إمكانات الأجهزة الأمنية وأثر الإخلال فيها على مكافحة الإرهاب". في: مجموعة باحثين، **قدرات الأجهزة الأمنية وأثرُها في جهود مكافحة الإرهاب**. ط. 1، الرياض: منشورات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2010.

   الرسائل الجامعية:

   جمال جارحي سعداوي، محمد، "بناء السيناريو في ضوء الدراسات المستقبلية". **رسالة ماجستير** في تخصص التصميم الصناعي، مقدمة إلى كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان (مصر)، 2016.

   الروابط الإلكترونية:

   "بريطانيا تحذر: زوال "داعش" في الشرق الأوسط لا يعني نهاية التهديد الإرهابي". في الموقع الإلكتروني: <https://ar.webmanagercenter.com/2018/09/14/239605/> ، تاريخ الزيارة: 18 نوفمبر 2018.

   "تطورات خطيرة سيشهدُها الشرق الأوسط". في الموقع الإلكتروني: <https://arabic.sputniknews.com/radio_event/201810291036399136> ، تاريخ الزيارة: 18 نوفمبر 2018. [↑](#endnote-ref-8)